مجلة بحوث كلية الآداب
جامعة المنوفية

البحث
٣

أساليب العقاب وعلاقتها بالاضطرابات النفسية للطفل

دراسة تقويمية فى إطار الدور المتغير للأسرة الليبية

إعداد

د / علوان يحيى

عميد كلية الآداب – الزاوية

جامعة السابع من إبريل

(الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية)

محكمة تصدرها كلية آداب المنوفية

العدد الثالث والستون أكتوبر ٢٠٠٥

*web site: http // : www.menofia. edu. eg *** http : // Art.menofia . edu. eg*

مقدمة البحث:

ثمة اتفاق عام بين المتخصصين في التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع على أن عملية التنشئة الاجتماعية أصبحت تنطوي على مؤثرات مغايرة عن تلك المؤثرات التي ألفتها الوحدات الاجتماعية لفترة ليست قصيرة، وإن كان هذا التغير يتضح من خلال مجموعة الاستجابات التي يتبناها الأفراد بصفة عامة والأطفال بصفة خاصة[1]، فإن هناك العديد من مظاهر التعارض – إن لم يكن التناقض– في الفعل الذاتي أو بالأحرى السلوك الفردي (رغم توحد الموقف في كثير من الأحيان) وبناء عليه فإن هذه المظاهر تفرض على الباحثين مهام جديدة من خلال تساؤلات مثارة من نوع: لماذا باتت أشكال السلوك تتسم بكل هذا التباين وبصفة خاصة لدى الأطفال؟ وإلى أي مدى تغيرت وظائف الأسرة المعاصرة في التنشئة الاجتماعية سواء من خلال درجة التأثير أو من خلال أساليب التأثير؟ وما هي الروافد المحدثة التي تشكل فعالية في إدراك الطفل ووجدانه ومشاعره وبالتالي سلوكه؟ ثم أين موقع المؤسسات الممثلة لوسائط التنشئة الاجتماعية من كل هذا التبدل خاصة في الدول الأقل تطوراً، والعربية منها؟ وكيف يمكن رسم أو بالأدق تصور علاقة بين الاضطرابات النفسية للطفل وبين أساليب التنشئة الاجتماعية التقليدية والمحدثة بحيث تساعد على خلق حالة من التكيف بين الطفل ومحيطه الاجتماعي وإطاره الجديد؟ بمعنى آخر كيف نربي أطفالنا في ضوء هذه المتغيرات السريعة والتبدلات المتلاحقة؟.

للإجابة على هذه التساؤلات (وغيرها) يأتي هذا البحث لمناقشة العلاقة القائمة بين أساليب العقاب التي تتم ممارستها داخل الأسرة وبلورة أسباب وعوامل الاضطرابات النفسية لدى الطفل، بحيث لا تنفصل هذه المناقشة عن تلك التغيرات التي تمر بها المجتمعات الأقل تطوراً في عموميتها والأسرة العربية (الليبية نموذجاً) في خصوصيتها التاريخية والمعاصرة.

وعلى الرغم من أن هذه الإشكالية قد مثلت أحد الجوانب الهامة في دراسات علم النفس التربوي وعلم النفس الاجتماعي حيث يتجلى ذلك في وجود العديد من

الدراسات والبحوث والمؤلفات ذات الصلة إلا أن هناك العديد من الوقائع والأحداث اليومية التي تؤكد دينامية هذه العلاقة بسبب مجموعة التحولات التي تمر بها الأسرة المعاصرة وانعكاساتها على بناءها ووظائفها[2]، كما لا يمكن تجاهل عدم جدوى الحلول التوفيقية الوسطية التي استندت عليها العديد من الدراسات السابقة والتي تظهر في مقولات أن العقاب مفيد في بعض الحالات لتوجيه انتباه الطفل إلى بعض الأخطاء التي قد يرتكبها لكي يعمل على تجنبها مستقبلاً، كما لا يمكن إغفال الخلافات الفكرية القائمة حول أنواع العقاب وأدواته ودرجته وتوقيت ممارسته وغيرها والتي أملت في كثير من الأحيان التأكيد على التدرج من قبل عدد من الدراسات، علاوة على تبني أغلب الدراسات المنهج الوصفي الذي يقوم على عمليتي التحليل والتركيب وبالتالي التركيز على مشاهدات ووقائع لممارسة العقاب دون الالتفات إلى الفروق الفردية التي تكون حاكمة لممارسة نوع ما واستخدام أداة ما وتوقيت محدد للعقاب.

إلى جانب هذه الملاحظات يمكن التأكيد على أن الخلافات الأيديولوجية بين الباحثين المهتمين بتوضيح العلاقة بين العقاب والاضطراب النفسي للطفل قد أدت إلى وجود درجة ما من التمفصل بين الفكر التربوي والنفسي والاجتماعي والواقع المعاش بالفعل[3]، فالقوالب الفكرية التي يتم تبنيها من جانب البعض تجعل الأخير (الواقع) مغترباً عن الفكر بصورة أو بأخرى، وبناء عليه فإن الواقع الموضوعي وما يتضمنه من تغيرات وتبدلات في أدوار الأسرة يمثل دافعاً من جانب هذه المحاولة البحثية لطرح مجموعة من المحددات والشروط اللازم توافرها لكي تكون أساليب العقاب تتسم بالتوافق مع الموقف الذي ارتكب فيه الطفل خطأ ما وحتى لا يؤدي ذلك إلى غرس مقومات الاضطرابات النفسية لديه.

في ضوء هذا التصور ينقسم هذا البحث إلى خمسة نقاط لا يفصلها عن بعضها سوى الغرض التحليلي، حيث تتناول أولها عرض تحليلي لأهم المفاهيم بهدف خلق لغة خطاب علمي بين المتخصصين في مجال علم النفس التربوي ونتنقل إلى ثانيها لتناول الرؤى النظرية المفسرة لأساليب العقاب بغرض الوقوف على أهم

القواسم المشتركة بينها وأيضاً توضيح الخلافات الأيديولوجية القائمة ومحاولة الاستفادة من بعض هذه المقولات لتحليل واقع الطفل الليبي، ويعرج البحث إلى ثالثها لتحديد الشروط الخاصة التي يجب توافرها لكي لا يتعدى العقاب وظيفته التربوية الأساسية كعلاج نفسي لتقويم السلوك، ويرتبط بذلك رابعها التي تقدم المظاهر الدالة على إمكانية تشكيل علاقة وظيفية بين أساليب العقاب وعدم حدوث الاضطرابات النفسية ، أما آخر هذه النقاط فنطرح من خلالها إطار تربوي مقترح لدور الأسرة في التربية والذي يعد خطة تربوية قابلة للتطبيق .

أولاً: أساليب العقاب والاضطرابات النفسية: إطار مفهومي:

لكي يكتسب أي بحث صفته العلمية فلا بد له أن يحدد المعاني التي تنطوي عليها مفاهيمه الأساسية، وعلى الرغم من أزمة المفهوم التي تختص بها العلوم الإنسانية قياساً بما هو سائد في العلوم الطبيعية والتفسيرات المختلفة لهذه الأزمة ، فإن البحث هنا يحاول طرح مفهوماته من خلال عرض تحليلي.

وبالنظر إلى عنوان هذا البحث يمكن ملاحظة وجود مفهومين أساسيين هما على التوالي أساليب العقاب والاضطرابات النفسية وفيما يلي توضيح لأبعاد التحليل الخاصة بكل منها:

١- أساليب العقاب:

لقد تعددت المفاهيم المتعلقة بأساليب العقاب للأطفال ويمكن تناولها بإيجاز على النحو التالي:

أ) التعريف المعجمي للعقاب:

العقوبة (Punishment) لغة اسم للجزاء بالسوء، مأخوذ من: عاقب، يعاقب، عقاباً، ومعاقبة ويذكر ابن منظور أن أعقبه بطاعته أي جازاه، والعقبي جزاء الأمر، والعقاب والمعاقبة أن تجزى الرجل بما فعل سوءاً، والاسم العقوبة، وعاقبه بذنبه معاقبة وعقاباً أخذ به.

والعقاب هو إيقاع الألم أو الإزعاج بمفحوص ما لفشله في التمشي مع مجريات أمور مقررة سلفاً في إحدى التجارب وهو تنبيه بمكافئ سالب أو تنبيه قادر على إيقاع الألم والإزعاج.

وفي القاموس التربوي Dictionary of Education جاءت كلمة عقاب على أنها خبرة غير سارة تلي تكرار الفعل الخاطئ أو السلوك.

وقد أشار (Adah) أده في قاموس ويبستر Webstr إلى معنى العقاب وهو فرض الجزاء على بعض الأخطاء، أو التعامل بقسوة لتعديل السلوك.

وفي موسوعة علم النفس والتحليل النفسي جاءت كلمة عقاب بمعنى: وهم العقاب والرغبة في أن نعاقب ويعبر عنها في شكل تخيل ننال فيه عقاباً بغية تحسن هذا الفعل، أو وقفه وعدم تكراره.

ب) التعريف السيكولوجي للعقاب:

لقد تعددت تعريفات العقاب من المنظور السيكولوجي فعند علماء النفس العقاب مرتبط بالثواب حيث يقصد به ما يوقع على الفرد حين يخترق القواعد الأخلاقية، وهو عكس الثواب.

يعرّف ميرر (Maurr, 1974) العقاب بأنه (أي مثير يقلل من تكرار السلوك الذي يسبقه)[4].

كما تعرف لندزي (Lindzey, 1978) العقاب بأنه (هو كل ما من شأنه أن يؤد إلى إضعاف سلوك معين أو كفه سواء جاء على شكل عقوبة جسيمة أو لفظية أو حرمان)[5] وبالتالي نجد أن العقاب يعمل عادة على تسهيل التعليم من ناحيتين: فهو يقمع السلوك غير المرغوب فيه من ناحية، ويزود المتعلم بتغذية راجحة ويعرفه بنتائج تعلمه من ناحية أخرى.

وتعرفه (لندا دافيدوف، ١٩٨٣) بأنه (إجراء تأديبي كريه مثل: الصفع بقسوة أو العزل أو الاستبعاد من الامتيازات الممنوحة أو دفع غرامة)[6] وتذكر أيضاً أن العقاب يحدث فقط عندما يلي فعل إجرائي معين عواقب سلوكية يختزل تكرار حدوثه في مواقف مشابهة.

ويعرف (سيتورات مل وآخرون، ١٩٨٣) بأنه (حدث منفِّر معتمد على إصدار أو حذف استجابة ما، يقدم عادة على سلوك حادث من أجل إيقافه، على الرغم من أن المثير المنفرّ قد يستخدم أيضاً بطرق أخرى لتكوين حالة دافعية قوية تؤدي إلى الهروب أو التجنب أو سواهما[7].

من خلال ما سبق يمكننا وضع تعريف إجرائي لأساليب العقاب بأنها أساليب يستخدمها الآباء أو المعلمون أو الكبار عندما يخطئ الطفل او يصدر منه سلوك غير مرغوب فيه وهي إجراءات تأديبية تؤدي إلى إيذاء الطفل بدنياً أو نفسياً وتختلف في أشكالها وفي درجتها وتشمل: العقاب البدني، العقاب اللفظي، العقاب بالحرمان، العقاب بالإهمال، العقاب بالغرامات، والعقاب الأخلاقي.

أنواع العقاب:

١-العقاب المعنوي: وهذا يقوم على أساس توجيه اللّوم للطفل المذنب وفيه يستخدم أسلوب التأنيب والزجر.

٢-العقاب البدني: وهذا يقوم على أساس الضرب ويستخدم بعد استنفاذ جميع الطرق السلمية، وهذه العقوبة قد أحيطت بشروط حتى لا يخرج الضرب عن الزجر والإصلاح، ولقد أثبتت العديد من الدراسات التربوية والنفسية أن التربويين يعارضون استخدام العقاب البدني في تربية الأطفال وذلك بسبب ما يترتب عليه من أثار جانبيه مدمرة ويحثون الآباء في البيوت والمعلمين في المدارس إلى إتباع أساليب النصح والإرشاد، والاحتكام للعقل وضبط النفس، مؤكدين بأن هناك أضراراً تلحق بالإنسان تكون مترتبة على شدة العقاب التي تعرض لها وهو طفل صغير، لذلك نجد أن العديد من الاضطرابات الانفعالية التي تنتاب الفرد في رجولته مرجعها إلى الخبرات الأليمة التي يتعرض لها في طفولته مثل سوء معاملة الوالدين له وقسوتهما في ذلك وعقابهما وكذلك المعلمين بالمدارس.

ج) أهداف العقاب:

لقد تعددت أهداف العقاب فإذا كان العقاب لتعديل السلوك كان الهدف من العقاب إصلاحاً، وقد يكون العقاب بغرض الإقلال من السلوك السيئ ويكون الهدف من العقاب الردع، وقد يكون الهدف من العقاب هو جزاء عادل وحماية الأفراد، وقد يكون الهدف من العقاب بغرض التطهير الذي يقوم على أساس تطهير الفرد من الذنب، وفيما يلي عرض موجز لأهداف العقاب.

١- الهدف الجزائي Rtributive:

يعتمد هذا الهدف على فكرة أن الجاني لا بد وأن يقاسي من الألم مثلما قاست منه ضحيته، فإذا ما ضرب الطفل أخاه أو أخيه، فلا بد أن يضـــرب الأب الطفـــل المعتدي، والهدف من هذا النمط العقابي هو انتقامي في أساسه وقد وصف هذا النمط بأنه حقير وأناني.

٢- الهدف العدواني Offensive:

وجهة نظر أخرى ترى أن هدف العقاب هو معاقبة الجاني لانتهاكه القـــانون ويكون هدف العقاب في بعض الأحيان حماية الآخرين من أخطاء فرد منهم، فالطفل الذي يزعج أخوته في حجرة الدراسة يجب أن يطرد منها إلى مكان منفـــرد حتـــى يتمكن الآخرون من التحصيل في هدوء وسلام.

٣- الهدف التحذيري Exemplary:

الهدف الثالث من العقاب هو ردع الجاني وكذلك الآخرين من تكـــرار نفـــس النمط من الإساءات، وقد يحرم الطفل من مصروفه اليومي أو هـــداياه تحطميـــه أي شيء في المنزل، حتى ولو عن غير عمد، حتى لا يحدث ذلك، وأن يكـــون عبـــرة لأخوته.

٤- الهدف الإصلاحي Reformatory:

وجهة النظر الإيجابية والصحيحة المتعلقة بالعقاب داخل المنـــزل ينبغـــي أن يكون الهدف منها إصلاحياً وأن يتم ذلك بتوقيع العقاب إذا ما كانت هناك ضـــرورة لذلك.

ويمكن القول أن تصنيف أساليب العقاب قد اتسمت في التراث النظري بتعدد وجهات نظر الباحثين التربويين إلا أن القراءة المتأنية لهذه الأدبيات تؤكد علـــى أن أساليب العقاب الخاصة بالأطفال تنحصر في الآتي:

أ) أساليب العقاب: تحتوي أساليب العقاب على عدة أنواع منها:

١-العقاب البدني: ويشتمل الصفع على الوجه، أو الضرب بالعصـــا أو شـــد الأذن ورفع اليدين لأعلى أو الركوع على الركبتين وغير ذلك من الأساليب الشـــائعة للعقاب البدني.

٢-العقاب اللفظي: وفيه تستخدم عبارات التأنيب وألفاظه والتي من قبيل أحذرك، آنذاك، أنا غير موافق، ويستخدم أسلوب التأنيب هنا لاختزال السلوك الغير مرغوب فيه وهو من أسهل أساليب العقاب تطبيقاً.

٣-العقاب بالحرمان: وفيه يحرم الفرد لبعض الوقت من المعززات من الأشياء المرغوبة مثل الانضمام لجماعة النشاط، أو الاشتراك في الترتيب لحفلة، أو المشاركة في عضوية جماعة، أو الخروج في رحلة.

٤-العقاب بالإهمال: وفيه يهمل الطفل ولا يتلقى أي لوم أو مدح رغم ملاحظته لما يوجه لأخوته في المنزل أو زملاءه في المدرسة من لوم أو مدح، ولا يعلم أداءه ولا تقدم له أية معلومة كتغذية راجحة له.

٥-العقاب بالغرامات: وفيه يمكن فرض غرامات للغياب أو التأخير أو غيرها من أشكال الغرامات، طبقاً لطبيعة الخطأ الذي ارتكبه التلميذ بالرغم من أن هذا النوع من العقوبة يمثل عبئاً مالياً على الآباء إلا أن الظروف هي التي تدعو لفرض هذه الغرامات.

٦-العقاب الأخلاقي: وتتمثل هذه العقوبة في الاعتذار والتأسف ويمكن قبولها في بعض الأحيان، ويتم ذلك بطريقة علنية من الطفل أمام أخوته أو من جانب التلميذ أمام زملاءه[8].

٢- الاضطرابات النفسية:

تنطوي محاولة تعريف الاضطرابات النفسية على العديد من الصعوبات التي حالت، وما تزال، الوصول إلى اتفاق نسبي وقواسم مشتركة بين الباحثين سواء على المستوى العربي أو على الصعيد العالمي، ويمكن تلخيص هذه الصعوبات في خمسة نقاط أساسية أولهما يتمثل في أن الاهتمام الأساسي بمفهوم الاضطرابات النفسية جاءت من قبل المهتمين بقضايا التأخر العقلي وقضايا عدم القدرة على التعلم، ثانيهما يتلخص في مدى تمسك هذا الباحث أو ذاك بأبعاد دون أخرى حسب الانتماء الأيديولوجي لنظرية معينة، ثالثها (وهي الأهم من وجهة نظر هذا البحث) تتركز في مدى اختلاف المعايير الثقافية بين المجتمعات أحياناً وبين الجماعات داخل المجتمع

الواحد في كثير من جماعة لأخرى ومن ثقافة مجتمع لثقافة مجتمع آخر، كما يظهر ذلك في حدود التسامح التي تطبقها الأسرة ذاتها ومدى تباينها حسب الزمان والمكان، ويرتبط بذلك رابعها وتتلخص في عدم وجود أسس ثابتة وموثوق بها تمكّن من الحكم على هذا السلوك ومدى شذوذ من جانب المحيطين بالفرد وإن كان ذلك يتوقف على مدى الاستعداد الذاتي لتكرار هذا السلوك الشاذ من عدمه، خامسها تتركز في درجة الارتباط الموجودة بين نمط سلوكي محدد وإعاقة معينة ويتطلب ذلك مجهوداً إضافياً لمعرفة وجود هذا الارتباط أم أن السلوك الشاذ أو المضطرب مصدره يكون خارجها تماماً عن نتاجات هذه الإعاقة ومظاهرها.

ومهما يكن من أمر فعالية هذه الصعوبات فإن هناك عدد من المحاولات التي قدمها متخصصون في هذا المجال (قياساً بسلوك الطفل) وفيما يلي عرض موجز لأهم هذه التعريفات:

أ) يرى سيجموند فرويد من خلال الأنا أن الخط الفاصل بين السلوك السوي والسلوك المضطرب أمر غاية في الصعوبة أثناء فترة الطفولة إلا أنه يمكن التعرف عليه من خلال التكرار ومدى شدة وقوة السلوك المنحرف، ويؤكد فرويد في ذلك على وجود دلائل تسمح بالحكم على وجود مشكلات نفسية جدية لدى الطفل وهي قلق مزمن ومستمر، تغير مفاجئ في سلوك الطفل بحيث يبدو مختلفاً تماماً عما كان عليه، اضطراب في النوم، اضطرابات الشهية، اضطراب في الوظائف الجنسية وإن كانت الأخيرة تظهر في مراحل لاحقة كالمراهقة وتبدو في اتصالات جنسية غير مشروعة أو التحري أو الإفراط في ممارسة العادة السرية[9].

ب) يرى روس أن الاضطراب السلوكي هو: "ذلك السلوك الذي يقوم به الطفل والذي ينحرف به عن المعيار الاجتماعي، ويكون هذا السلوك قوياً ومكرراً بحيث يمكن البالغين ممن هم حول الطفل من الحكم على مدى حدة أو ضعف هذا السلوك"[10].

ج) يحدد باور مظاهر السلوك المضطرب على أنـــه: "أي طفـــل يمكـــن اعتبـــاره مضطرباً سلوكياً إذا أظهر -بدرجة قوية وعبر فترة زمنية طويلـــة- واحـــدة أو أكثر من المظاهر التالية:

* عدم القدرة على التعليم بدون وجود عوائق عقلية.
* مشكلات تتعلق بالصحة العامة للطفل كالخلل في سلامة الحواس مثلاً.
* الإخفاق في تكوين علاقات اجتماعية مرضية.
* سيطرة الشعور بعدم السعادة وظهور علامات الاكتئاب النفسي.
* الشكوى الدائمة من الإحساس بالتعب الجسمي.
* ظهور علامات الخوف لدى الطفل من المحيطين بالطفل[11].

د) يذهب كوفمان إلى أن الأطفال المضطربين سلوكياهم "الذين يتفاعلون بشكل غير مرض وغير مقبول اجتماعياً مع عناصر البيئة المحيطة بهم، علـــى أن يتســـم سلوكهم بالاستمرارية والظهور في أغلب الأوقات، في حـــين أن مثـــل هـــؤلاء الأطفال لديهم القدرة على تعلم أنماط سلوكية تكـــون مقبولـــة علـــى المســـتوى الاجتماعي[12].

وإن كانت معظم تعريفات الاضطرابات النفسية لدى الطفل لا تخرج عن هذه المحددات والمظاهر فإن القارئ المتأني لها يستطيع، دون جهد منه، رصد العديد من الانتقادات حولها، حيث تركز أغلب هذه التعريفات على مدى مسئولية الطفل علـــى ارتكاب السلوك الشاذ ويكون الحكم خاصاً بالمحيطين به دون الالتفات علـــى أن أي نمط سلوكي هو نتاج لتفاعل من نوع ما بين الطفل ومحيطة، إلـــى جانـــب تجاهـــل عملية الاكتساب التي يتميز بها الطفل وفقاً لخصائصه العقلية والبيولوجية والنفســـية، علاوة على تجاهل العديد من المتغيرات المستقلة التي تتحكم في نوع وقوة الســـلوك المضطرب سواء ذات الصلة بالوالدين والأخوة كالفئة العمرية والمهنة والمســـتوى التعليمي ونوع الأسرة (ممتدة/ نووية) والخلفية الحضرية أو ذات العلاقـــة بالطفـــل كذات كالترتيب بين الأخوة وثلة أقرانه والفئة العمرية التي تحكم ســـلوكه وطريقـــة ولادته ومدى رغبة الأسرة فيه حسب نعه وغيرها.

وإن كانت التعريفات السابقة، وغيرها تتفق حول خصائص ومظاهر السلوك المضطرب فإن هذا البحث يعني بالاضطرابات السلوكية "هي تلك الأنماط السلوكية التي تجنح أو تنحرف عن السلوك المثالي الناتج عن منظومة من المعايير الاجتماعية المحددة لنوع ودرجة التسامح، والتي تتسم بالقوة والتكرار والديمومة وتكون ناتجة عن تبني أساليب معينة للعقاب دون أخرى وأيضاً محصلة لتباين وتناقص أساليب العقاب رغم توجد الموقف في كثير من الأحيان، وتحكمها (الاضطرابات) عدد من الجدليات أبرزها العلاقات بين الطفل ومحيطة الثقافي والاجتماعي والاقتصادي أيضاً، والعلاقة بين التراث والمعاصرة في عملية التربية برمتها.

ثانياً: الرؤى النظرية المفسرة لأساليب العقاب:

تعددت نظريات العقاب على أساس الهدف من العقاب ويمكن لنا تناولها بإيجاز من المنظورين السيكولوجي والإسلامي وذلك كما يلي:

١- نظريات العقاب من المنظور السيكولوجي:

تختلف نظريات علم النفس في موقفها من العقاب واستخدامه في مجال التعلُّم وتعديل السلوك الإنساني حيث نجد أن بعض هذه النظريات تؤكد أن العقاب لا أثر له على الإطلاق في عملية التعلم، بينما يرى البعض الآخر أن للعقاب دور أساسي في كف السلوك غير المرغوب يه وتعديله ومن بين هذه النظريات:

أ) النظرية السلوكية:

من الملاحظ أن بعض العلماء السلوكيين لم يوافقوا على استعمال أسلوب العقاب في ضبط السلوك أو تعديله، وينصح الكثير منهم بعدم استخدام العقاب في المواقف التعليمية بقدر الإمكان وذلك لأن تجاربهم قد أثبتت أن نتائج العقاب غير مضمونة، مثلاً: ثورنديك قد انتهى في تجاربه إلى أن العقاب لا يحدث المرابطة التي تحدث بين المثير والاستجابة ويؤكد (سكينر) هذا الرأي موضحاً بأن الكثير من السلوك الإنساني يتم ضبطه عن طريق المثيرات الرادعة أي العواقب الباعثة عن الضيق أو المثيرة للقلق، وقد وجد سكينر أسلوبين لضبط السلوك عن طريق

المثيرات المقلقة هما: أسلوب العقاب وأسلوب التدعيم السلبي، ولكن رغم أن العقاب قد يقمع السلوك غير المرغوب فيه إلا أن هذا السلوك قد يعود لنفس قوته السابقة إذا توقف العقاب فضلاً عمَّا له من أثار جانبيه ضارة تؤدي إلى زيادة مشاعر الذنب والعدوان والقلق[13].

ويرى عالم النفس جاثري أن العقاب إذا كان مستمراً يؤدي عمل الدافع ويقرر أن العقاب إذا كان بسيطاً فهو يعمل على خلق حالة من التوتر تساعد على استمرار السلوك، بينما العقاب المستمر يؤدي إلى خلق حالة توتر مستمر تبعث الكائن الحي على الاستمرار في النشاط حتى يصل إلى الهدف وهكذا[14].

كما يرى عالم النفس "مورر" أن العقوبة يمكن أن تكون عاملاً معززاً للتعلُّم موضحاً ذلك بأن الاستجابة التي يتعلمها الفرد بعد تدعيم موجب إذا ما تبعتها مباشرة عقوبة فإنه ينتج عن تلازمها للعقوبة القدرة على إثارة الخوف وهكذا عندما يكون الخوف قوياً ف٦إنه يتغلب على الرغبة في القيام بالاستجابة فتكف أو تعاق، وهكذا نلاحظ أن علماء النفس لم يكونوا على اتفاق كامل وواضح حول طبيعة وأثار أوجه العقاب[15].

ب) النظرية المعرفية:

لقد اهتم عالم النفس "كيرت ليفن" بالعقاب في الاتجاه المعرفي حيث فرق بين موقفين يحدث فيهما العقاب، الموقف الأول هو التهديد بالعقاب لأداء عمل يكرهه الفرد، وفيه يصاب الفرد بحالة من التوتر نتيجة وقوعه بين قوتين سالبتين وهما العمل المكروه والتهديد بالعقاب هذا بالإضافة إلى الحواجز التي تحول دون هروبه من الموقف دون عقاب.

الموقف الثاني: وهو التهديد بالعقاب لكف استجابة يرغب فيها الفرد ولكن العقاب نفسه يقف كحاجز أمام العمل الممنوع والتالي يؤدي ذلك إلى ظهور صراع كامل من نوع (إحجام- أقدام) وهنا يتحدد السلوك على أساس درجة وواقعية العقاب وكذلك درجة إدراك الفرد للعالم المحيط به[16].

٢- نظريات العقاب من المنظور الإسلامي:

تستند هذه النظريات إلى الركائز التالية: القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فالإسلام قد شرّع العقاب لما فيه حياة الناس واستقرار أمورهم حيث قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ صدق الله العظيم.

وهكذا نجد أن العقاب وارد في التربية الإسلامية بما يؤدي إلى تعديل السلوك بشرط التدرج في استخدام أساليبه وإتباع العدل وعدم التشدد فيه، ذلك لأن التربية الإسلامية تعتمد الكائن الحي البشري باعتباره مخلوق لذا وجب احترامه كطفل وعدم التقليل من شأنه وضرورة معاملته بلطف ولين انطلاقاً من قوله صلى الله عليه وسلم: (لاعب ولدك سبعاً وأدبه سبعاً وصاحبه سبعاً ثم اترك حبله على غاربه) وقوله: (مروا أبناءكم بالصلاة لسبع وأضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع).

لقد حث الإسلام على ضرورة الرحمة بالأطفال والرأفة بهم والعطف عليهم ورأى أن القلب الذي يتجرد من خلق الرحمة ويتصف صاحبه بالفظاظة والغلظة سيدفع أطفاله إلى الانحراف ويجعهم يتخبطون ويعيشون حياة مليئة بالمشاكل والهموم والمتاعب، حيث قال الرسول -ﷺ- (ليس منا من لم يرحهم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا) وكان إذا رأى أحد أصحابه لا يرحم أولاده يزجره بحزم ويوجهه إلى ما فيه صلاح البيت والأسرة.

وهكذا فالإسلام يوصي بضرورة الاهتمام بالطفولة ورعايتها والعناية بها باعتبارها أساس بناء المجتمع وتقدمه، وهكذا نجد أن التربية الإسلامية تدعو إلى:

١-معاملة الطفل بلطف ورحمة ولين.

٢-ضرورة مراعاة طبيعة الطفل المخطئ عند استخدام العقوبة.

٣-التدرج في المعاقبة من الأخف إلى الأشد ومع ذلك يشترط في عقوبة الضرب ما يلي:

- عدم اللجوء إليه إلا بعد استنفاذ جميع وسائل العقاب الأخرى.

- عدم اللجوء إلى الضرب في حالة الغضب الشديد، أخذاً بوصية النبي (ﷺ) لا يغضب.
- عدم الضرب في الأماكن المؤذية كالرأس والوجه والصدر والبطن وإتباع قوله -ﷺ- (لا ضرر ولا ضرار).
- أن تكون الضربات من واحد إلى ثلاث ضربات إذا كان الولد دون الحلم فإذا بلغ الحلم فلا يزيد عن عشر لقول الرسول -ﷺ- (لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله) [17].
- العقوبة من المنظور الإسلامي تعني إشعار الطفل المذنب بذنبه وأنه خرج عن القيم والأخلاق الإسلامية، وأنه قد أساء إلى نفسه وإلى الجماعة.

ومن ثم فإن سلوكه هذا يحتاج إلى تعديل وتصحيح وتتدرج العقوبة في الإطار التربوي الإسلامي إلى مجموعتين هما:

- الأولى: العقوبة المعنوية: وهذه تقوم على أساس توجيه اللوم للطفل المذنب وفيها التأديب -الزجر- التقريع على إنفراد- التقريع على رؤوس الإشهاد- الخصام- الهجر- العزل[18].
- الثانية: العقوبة البدنية: وهذه تقوم على أساس الضرب وتوجه إلى الطفل الذي استنفذت معه الطرق السليمة ولا يريعه العقاب المعنوي بأشكاله المختلفة على أن المربين والفقهاء في الإسلام إذا كانوا قد قرروا الضرب كعقوبة في بعض الأحوال والظروف فإنهم قد أحاطوا هذا العقوبة بسياج من الشروط المعروفة حتى لا يخرج الضرب من الزجر أو الإصلاح إلى التشفي والانتقام وفي ذلك يقول المولى عز وجل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ صدق الله العظيم.

ونخلص إلى أن الغرض العام من العقوبة في نظر الإسلام في مجال تربية الأطفال هو الإصلاح والتقويم.

ثالثاً: المحددات والشروط الخاصة بالعقاب كعلاج نفسي تربوي:

على الرغم من تعدد الرؤى النظرية حول أساليب العقاب إلا أن هناك اتفاق على أنها طريقة تعديل السلوك لكي يعكس القيم والمعايير الاجتماعية وتدفع إلى اكتساب الطفل لصفات وخصائص مجتمعه، وبالتالي وتعد طريقة التشريط الفعال التي وصفها فورستر سكنر Forester skinner على أنها الطريقة التي إذا تم تقنين استخدامها لا تضح فائدتها الكبيرة في تنمية الاعتماد على النفس واكتساب المهارات الاجتماعية واللغوية والتعليمية والمهنية[19].

وبناء عليه يمكن تحديد فعاليات وشروط نجاح العقاب على النحو التالي:

أ) فعاليات العقاب:

إن عدداً كبيراً من الإجراءات العقابية التي وتطبق داخل الأسر وفي المدارس أيضاً في المدارس لأن مفهوم معظم المدرسين عنه بأنه ضروري لعملية كبح السلوكيات غير المرغوبة، فالمعلمون في المدرسة يقفون موقف الآباء في عملية الرعاية والتربية من أجل مصالح الجماعة[20] ، ولذلك فإن لديهم المبررات لاستخدام نسبة الكبح وبالتالي يرونه ضرورياً مثلما يفعل الأب ولأن العقاب يتضمن بالضرورة الايلام والنفور فإنه لا يجب استخدامه إلا في استئصال وإزالة شر أكبر وكذلك من الخطأ استخدامه مالم يحقق دافعية لزيادة التحصيل وزيادة الانضباط، أما إذا تولدت عنه مشاكل أسوأ من تلك التي استخدم لمنعها كان من الضروري التخلي عنه وعدم اعتبار العقاب وسيلة لغاية ويصبح عديم القيمة في حد ذاته ويعرف العقاب بأنه أحد الأدوات الفعالة لإقصاء كل ما هو غريب فهو كالدواء قد يكون لازم رغم مرارته، وتعتمد فعالية العقاب على بعض الشروط التي ترتبط بالموقف المستخدم فيه، والمستخدم للعقاب، حجم العقاب ونوعه، كما يعتمد على طبيعة شخصية الطفل المعاقب[21].

ب) شروط نجاح العقاب في تعديل سلوك الطفل:

لقد حدد المهتمون بالدراسات التربوية والنفسية عدة شروط لاستخدام أساليب العقاب المختلفة في تعديل سلوك الطفل وهي كما يلي:

١- التوقيت Timing:

التبكير أفضل من التأخير، أي أن تكون فترة الوقت محددة بين السلوك المعطى وعقابه، وهنا تكون فاعلية العقاب أكبر، فعندما يعاقب الأطفال عند بداية الاشتراك في العمل الممنوع فإنهم سوف يسيرون فيه بصورة أقل إن لم يعاقبوا، حتى بعد أن يكونوا قد تعلموه فعلاً.

٢- التوضيح Explaning:

يكون العقاب أكثر فعالية عندما يقترن بالتوضيح فالطفل سوف يكون أقل حباً للعب بالشيء الممنوع إذا تم إخباره عنه وإذا تم عقابه، كما أن التوضيح القصير يكون ذو فعالية أكبر بصورة عامة من التوضيح المتصف بالطول في استغراقه للوقت.

٣- الثبات Consistency:

عندما يكون الطفل أكثر ثباتاً على السلوك غير المرغوب فإنه يعاقب، فعند ذلك تكون فعالية العقاب كبيرة، وكذلك عندما يكون الأطفال غريبي الأطوار فيستمرون في سلوكهم غير المرغوب بصورة أطول منه عندما لا يعاقبون بصورة كلية حيث أننا نعلم تأثير التعزيز على التعلم، وغنى عن البيان أن التعزيز المتفاوت ينتج استجابات أكثر استمراراً.

٤- الشخص الذي يعاقب:

إن العلاقة الكبيرة بين عقاب الراشد والطفل هي الفعالية الكبيرة للعقاب فالعقاب ينقسم إلى جزءين: حضور شيء سلبي أو إزالة شيء إيجابي وهكذا فإن العنصر ذا الإيجابية المرتفعة الذي يزال يكون عقاباً ذا فعالية كبيرة عندما تكون العلاقة بين الطفل والشخص المعاقب مغلقة، مثلاً أن يكون حنوناً ومربياً فإن الطفل يخسر أكثر منه عندما تكون العلاقة أقل إثابة[22].

٥- دور الطفل:

إن الأطفال يلعبون دوراً فعالاً في مجال عقابهم، فالأطفال الذين يتصرفون بتحد (أو جراة) أو يتجاهلون الراشد بعد أن يقترفوا ذنباً يميلون لأن يعاقبوا مرات

عديدة، بينما هؤلاء الأطفال الذين يقرون، ضمنياً أو علنياً بذنبهم ومحاولتهم إصلاح ما فعلوه بصورة مفيدة لا يعاقبون بصورة دائمة، وأحياناً في الحقيقة يستطيع الأطفال أن يلعبوا دوراً في تجنب العقوبة.

٦- التأثيرات طويلة المدى للعقاب:

هنا يمكن للعقاب أن يكون فعالاً في ضبط السلوك، إلا أنه يمكن أيضاً أن يكون له تأثيرات جانبية غير مطلوبة، فالعقاب البدني من أوضح تلك الأنواع الخطيرة، حيث لولا إمكانية الضرر للطفل فإن استخداماته تجعل الوالدين كنموذج للعدوان، وفي الواقع يعلّمون الطفل أن يكون عدوانياً، كما أن الاستخدام المتصل للعقاب بصفة عامة سوف يجعل الطفل يتفادى الراشد المعاقب[23]، وهكذا فإن ذلك يضعف قدرة هذا الشخص على التأثير في سلوك الطفل في المستقبل، وعلاوة على ذلك فإن الطفل الذي يعاقب كثيراً سوف يتكوّن لديه شعوراً بالعجز يؤدي إلى الهرب من العقاب ويصبح سلبياً.

رابعاً: المظاهر الدالة على علاقة الاضطراب النفسي بالعقاب (الطفل نموذجاً):

لا شك أن من أهم أسس الصحة النفسية للطفل أن تكون له علاقة دافئة حميمة ومستمرة مع الوالدين وتلك العلاقة مع الوالدين أو من يقوم مقامهما وراء نمو شخصية الطفل وصحته النفسية، أما الإساءة من الوالدين ومعاناة الأبناء من العقاب والرفض والإهمال فيرتبط بالاضطرابات النفسية للأبناء وزيادة السيكوباتية لديهم وتشير معظم الدراسات التربوية والنفسية إلى أن للطفل حقوقاً أساسية ينبغي الوفاء بها مثل: حق الغذاء وحق العناية بنظافته ومظهره وحق اللعب وحق الأمان من أي شكل من أشكال العدوان البدني والجنسي وحق الأمن النفسي بألا يقع فريسة لأشكال الإساءة النفسية والانفعالية من رفض وإهمال وعدم رعاية وتهديد بسحب الحب وإغاظة وتهديد بالتملص منه ومعايرته بعيوب ومقارنته بأقرانه، وكذلك حق الطفل في أن يقدره الآخرون ويحترمونه ويشعرونه بانه محبوب وأن عدم تلبية هذه الحقوق الأساسية للطفل والتي نصت عليها المنظمة العالمية لحماية الطفل إنما تمثل إساءة للطفل وتنبيء بالاضطرابات في صحته الجسمية والنفسية مستقبلاً[24].

وإذا نظرنا إلى المناخ النفسي الذي يشكل شخصية الطفل المساء معاملته فإننا نجد أن البيئة غالباً ما تنطوي على أشكال من العقاب البدني والرفض والإهمال مما يترتب عليه بعض خصائص شخصية الطفل، ومن بين هذه الخصائص أن الطفل المساء معاملته يتسم بانخفاض تقدير الذات، وصعوبة في التحصيل الدراسي، وصعوبة في التكيف مع المراحل النمائية، وزيادة في القلق والإكتئاب، والعدوان والاندفاعية وتصل الاندفاعية إلى درجة الخروج على القوانين وعدم القدرة على السيطرة على الأفعال مما يؤدي إلى زيادة تعرضه للإساءة، وانخفاض تقدير الذات ونقص الشعور بالكفاية، والسلوك الانسحابي وعدم الإقدام على إقامة علاقة اجتماعية جديدة، والتعلق الشديد بالأم وقد يستمر هذا التعلق حتى البلوغ، العناد والتمرد، مشكلات سلوكية مثل التبول اللاإرادي وعدم الاستقرار والنشاط الزائد، وإذا كانت نظرية التحليل النفسي قد أشارت إلى أن خبرات الطفولة تترك أثاراً على نمو الفرد لا يمكن محوها، كما تظهر أثارها على النمو السيكولوجي لكل من المراهقين والبالغين[25]، كما أنها تضع الأسس لأية اضطرابات عصبية فيما بعد عن خبرات الإساءة الجسمية أو النفسية بالإضافة إلى أن أثارها تظهر على شخصية الطفل فلا شك أنها تترك بعض الآثار النفسية عبر المراحل النمائية المختلفة وتشير بعض الدراسات الاجتماعية إلى أن الإساءة الجسمية والنفسية عامل ذو خطورة يمكن من خلاله التنبؤ ببعض الأعراض النفسية وبالانحراف والإدمان وبشكل أكثر تحديداً فإن الآثار الناتجة عن الإساءة في المراحل النمائية المختلفة تظهر كالتالي:

١-**في مرحلة الطفولة:** شعور بعدم الأمن، كوابيس، تجنب التواصل مع الناس، الانسحاب، العدوان، الاكتئاب، الشكاوي الجسمية، انخفاض تقدير الذات، زيادة معدل المشكلات السلوكية، وانخفاض التحصيل الدراسي، انخفاض القدرة العقلية.

٢-**في مرحلة المراهقة والرشد:** زيادة أعراض القلق والاكتئاب، انخفاض في تقدير الذات، نقص الشعور بالكفاية، انخفاض في التحصيل الدراسي، الجناح، الإدمان، العزلة الاجتماعية، عدم النضج الانفعالي والاجتماعي، نقص المهارات

الاجتماعية، ويرى المهتمون بالصحة النفسية أن هناك أضراراً غير محدودة تلحق بالإنسان تترتب على شدة العقاب الذي يتعرض له وهو طفل صغير فهم يرون أن كثيراً من الاضطرابات التي تنتاب الفرد ترجع إلى الخبرات الأليمة التي يتعرض لها في طفولته مثل سوء المعاملة من الوالدين أو العقاب من المعلمين.

فالعقاب الشديد وخاصة البدني يضاعف من مشكلات الأب، والمعلم أيضاً، الناتجة عن زيادة غضب الأبناء، والتلاميذ، بالإضافة إلى المشكلات النفسية العديدة التي يسببها العقاب مثل القلق، والاضطرابات النفسية بين التلاميذ مما قد يؤدي إلى هروبهم من المدرسة والعقاب أيضاً هو أحد وسائل ضبط السلوك عن طريق المثيرات البغيضة[26]، ورغم أن العقاب قد يقمع السلوك غير المرغوب فيه إلا أن هذا السلوك قد يعود لنفس قوته السابقة إذا توقف العقاب بمعنى آخر أن العقاب لا يؤدي بالضرورة إلى التخلص من السلوك غير المرغوب فيه، علاوة على ما له من أثار جانبية ضارة تؤدي إلى زيادة مشاعر الذنب وزيادة العدوان والقلق، ويمكن حصر السمات النفسية للطفل الذي يتعرض للعقاب والإساءة من قبل القائمين بالرعاية (كالآباء أو المعلمين) مثل: السلوك القهري للتلميذ، قد يصبح التلميذ في حالة ترقب مستمر خوفاً من وقوع العقاب عليه، الانسحاب، العناد والتمرد السلوك الناضج الخادع، بعض الأعراض السيكباترية مثل التبول اللاإرادي، بعض الاضطرابات النفسية، وفي هذا الصدد عرض هايمن (Hyman) بعض الاضطرابات النفسية للأطفال المساء معاملتهم بأحد المدارس الأمريكية حيث ظهرت عليهم الأعراض التالية: الصداع، آلام بالمعدة، الكوابيس المزعجة، الخوف من الظلام، مص الأصابع، البكاء، شد الرمش، شد الشعر، الأرق، الإفراط في الاعتماد على الغير، الصعوبة في التركيز، الخجل الشديد، الاكتئاب، النشاط الزائد، السلوك المضطرب، الخوف من الغرباء، تجنب المدرسة أو الهروب منها، وفي بعض الحالات تصل الإساءة النفسية إلى إحداث إصابات، وفي أغلبها الإساءة تكون مقصودة ولكن تأتي نتيجة الثورة الشديدة من جانب المعلم عند خرق النظام أو الإتيان بالسلوك الخاطئ[27] .

ومن النتائج السلبية التي قد يؤدي إليها العقاب بصفة عامة: أنه قد ينفع في حينه ولكنه غير فعال على المدى البعيد لأنه قد يمنع السلوك الغير مرغوب فيه في حالة وجود الشخص الذي أوقع العقاب فإذا غاب عاد التلميذ إلى القيام بذلك السلوك المرفوض، أيضاً يتعلم التلميذ بسبب العقاب أنماط من السلوك الهزلي السلبي وذلك محاولة منه لتفادي العقاب كما يؤثر العقاب على الصورة التي يكونها الإنسان عن نفسه بحيث تكون صورة سلبية انهزامية، كما يحدث في بعض الأحيان أن يتخذ التلميذ المعاقب من العقاب الأسلوب الوحيد للرد على المواقف التي تثير الغضب، ويصبح من سماته السلوكية ممارسة العقاب مع زملائه وأخوته[28].

وتشير العديد من الدراسات النفسية والتربوية إلى أن للعقاب أثار سلبية من أهمها:

- أن العقاب يؤدي إلى كبت السلوك المقابل أو قمعه وليس إلى محوه أو إنطفائه.
- نتائج العقاب تستعصي على التنبؤ فإذا كان الثواب يقول للطفل "كرر ما فعلت" فإن العقاب يقول له: توقف عما تفعل، ويفشل أن يحدد للطفل ما يفعله.
- بانتهاء الحالة الانفعالية المرتبطة بالعقاب قد تظهر الاستجابات التي عوقبت من قبل بنفس قوتها السابقة مالم تحل محلها استجابات جديدة تتم إثابتها.
- قد يؤدي العقاب في بعض الأحوال إلى تثبيت السلوك لا إلى حذفه كما هو الحال في بعض صور السلوك العصابي.
- قد تكون النتائج الجانبية للعقاب سيئة للغاية، فمن المعتاد أن يؤدي العقاب إلى كراهية مصدر العقاب، وكراهية العمل الذي يؤدي إلى العقاب.
- قد يترتب على الاستخدام المستمر للعقاب عدداً من الأخطاء، فالمعلم أو الوالد الذي يعتمد على العقاب قد يكون مضطرباً انفعالياً وقد يعبر عن عدوان مكبوت لديه لعقاب طفل أو شخص لا حيلة له، ومما يجب تحذير المربين منه هو النتائج غير المقصودة للعقاب، والذي قد يؤدي دون وعي إلى ظهور أنماط سلوكية غير مرغوبة مثل:

- تعلم الأطفال أساليب التجنب وتشجيع السلوك المرغوب في وجود الكبار فقط، وقد يدفعهم إلى الركون إلى العقاب (ولو بدرجة طفيفة).
- قد يعزز العقاب سلوك الأطفال الذي يرجع إلى رغبتهم في لفت الانتباه في الوقت الذي يقصد فيه بالعقاب.
- يمكن أن يؤدي العقاب سواء البدني أو اللوم والتوبيخ إلى عدم التكيف مع المناخ المدرسي.
- قد يتعلم الطلاب العدوانية دون وعي مباشر من خلال تقليد السلوك العدواني للكبار.
- الأطفال الذين يعاقبون بصفة متكررة قد يحرمون من إظهار بعض الفضائل كالرقة والحساسية ويحل محلها الخشونة والتبلد الانفعالي، وقد ينمي العقاب في الطفل الشعور بالأنانية.

ومن الملاحظ أن الأطفال الذين يتعرضون للإيذاء الجسدي لديهم احتمالية أكبر للانخراط في أعمال العنف أو سلوكيات إساءة المعاملة عندما يصلون إلى سن الرشد وهو ما يعرف باسم انتقال العنف عبر الأجيال، كما أن الأفراد الذين تعرضوا لإساءة المعاملة الجسدية لديهم معدل مرتفع من المحاولة أو تنفيذ الانتحاء، كما يعاني الأطفال الذين يتعرضون تكراراً لإساءة المعاملة الحادة بصورة شائعة من أعراض القلق تأخذ صورة اضطراب انضغاط ما بعد الصدمات، وتشمل هذه الأعراض: اقتحام الذكريات لعقل الطفل عنوة حتى لو كانت محدثة للتوتر وغير مرغوبة، كما يحدث تبلد أو موت المشاعر والأحاسيس نظراً لأن السماح لهذه الأحاسيس بالتوراد إلي الوعي ربما يؤدي إلى قلق الطفل أو اكتئابه.

وتجدر الإشارة إن الأساليب العقابية الخاطئة كالنبذ والحرمان كوسيلة للتأديب أو العقاب القاسي الذي يمارسه الآباء والمربين مع أطفالهم أو المقارنة أو التحقير كل هذه الأساليب يمكن أن تنذر بالقلق وتوقع الفشل في نفوس الأطفال ووالديهم في المراحل المبكرة من حياة هؤلاء الصغار، وبالتالي فعندما يستخدم الآباء العقاب القاسي والقيود المتشددة فإن الاحتمال الأكبر أن يصاب الأطفال عندئذ بالقلق.

إن انعدام الدفء العاطفي في الأسرة، وشعور الطفل بأنه شخص منبوذ ومحروم من العطف والحنان من أهم مصادر القلق، كما أن بعض أنواع المعاملة التي يتلقاها الطفل تؤدي إلى نشأة القلق، فالسيطرة المباشرة أو غير المباشرة كلها توقظ لدى الأطفال نوع من القلق.

ويمكن التأكيد على أنه نتيجة لاستخدام اساليب العقاب القاسية سواء في المنزل أو المدرسة يولد لدى الأطفال انعدام الثقة بالنفس، وزيادة درجة الخوف والقلق، وعدم الاعتزاز بالذات، إلى جانب الإحساس بالضعف والفشل، وعدم تكوين صداقات مع الآخرين، والعدوانية في التصرفات في البيت والمدرسة، والولع بالتحطيم والتخريب[29]، وعدم القدرة على التركيز والضعف في التحصيل وبالتالي فإن الأحداث لابيئية هي المسببة للاضطراب الاكتئابي فينتج الاكتئاب من أحد المواقف الثلاثة الآتية: معدلات منخفضة من التدعيم (التعزيز)، معدلات عالية من العقاب، استبعاد المثيرات المميزة لنتائج الاستجابة (التدعيم) أي الانطفاء، وفي كثير من الأحيان يقع على الآباء والمربين كل المسئولية في نمو أعراض الاكتئاب وتطورها لدى الأطفال: فحرمان الطفل من الأشياء التي يميل إليها كعقاب نتيجة سلوكه سلوك غير مرغوب فيه، التهديد المتكرر بالعقاب البدني، إهمال الطفل وعدم الإكتراث به كل هذه العوامل تزيد من وطأة الاكتئاب لدى الطفل فضلاً عن اتباعه لسلوك يتسم بعدم السواء والانحراف بصفة عامة على جانب الفشل الدراسي والقلق والسلوك اللاجتماعي، وهكذا يتعرض الطفل للعديد من الاضطرابات النفسية خلال تعرضه لأنواع من العقاب القاسية تجعله عرضة للإصابة بالاكتئاب أو القلق في حياته[30] ، وبالتالي يجب على الآباء في المنزل والمعلمين في المدرسة وكافة من لهم علاقة مباشرة بتربية الطفل أن يبتعدوا عن العقاب المؤثر قدر الإمكان واتباع الأساليب النفسية والتربوية في تنفيذه، إلى جانب الإلمام بالصفح والسماحة وحسن المعاملة والتحلي بالصبر من أجل بناء جيل قوي صحيح الجسم خال من الأمراض والعقد النفسية المختلفة جيل يعوّل عليه في بناء المجتمع وتقدمه.

خامساً: إطار تربوي مقترح لدور الأسرة في التربية:

في ضوء العرض السابق يظل التساؤل الأساسي قائماً ويتمثل في: كيف يمكن أن تتفاعل الأسرة الليبية المعاصرة مع أطفالها في ثنايا الحياة اليومية ومواقفها بحيث لا يؤدي هذا التفاعل إلى غرس الاضطرابات النفسية؟، ولا شك أن الوصول إلى الإجابة على مثل هذا التساؤل ليس باليسير في ثنايا بحث موجز إلا أنه ينقسم إلى عدد من النقاط التي تكشف في مجموعها عن دور الأسرة في التربية في ضوء التغيرات الحالية وهي:

١- لا بد من انتباه الوالدين إلى الفروق الفردية بين الأبناء سواء من حيث النوع (ذكور/ إناث) أو الفئة العمرية (السن) أو السمات الشخصية التي ينطوي عليها الطفل والتي لا تنفصل عن محددات أسرية وأخرى مجتمعية وثالثة ذات طابع سيكولوجي.

٢- لا بد من وضوح الأدوار التي ينطوي عليها أفراد الأسرة وبصفة خاصة الأب والأم، فالدور باعتباره حقوق وواجبات في أبسط معانيه فإن تكامل الأدوار في كليتها ودور كل منهما في غرس القيم داخل الطفل في فرديتها تساعد على خلق درجة ما من التكيف النفسي للطفل علاوة على ما يحدثه ذلك من مناخ أسري ذات استقرار وثبات نسبي.

٣- إدراك الوالدين للدور التربوي للأسرة مع الأخذ في الاعتبار وجود وسائط أخرى للتنشئة الاجتماعية لا تقل تأثيراً وفاعلية (إن لم تكن تفوق دور الأسرة في كثير من الأحيان) أبرزها وسائل الإعلام وما تقدمه من مواد إعلامية وإعلانية تغرس قيم دون أخرى وتدفع بالطفل نحو تبني نماذج سلوكية غير مدركة بل تدخل في إطار المحاكاة والتقليد، إلى جانب ثلة الأقران الذين يقدمون للطفل مبادئ سلوكية بصورة غير عمدية في أغلبها) إلا أنها تعود إلى الاختلافات القائمة بين الأساليب الأسرية في التنشئة، بالإضافة إلى ما يقدمه الآخرون المحيطين بالطفل كالأجداد والأقارب والتي تأخذ في بعض الأحيان صورة التعليمات التي يجب تنفيذها، ويكونون أيضاً أحد مصادر النقد الاجتماعي لسلوك

الطفل وقيمه، علاوة على ما تقدمه مؤسسات التنشئة الأخرى مثل دور الحضانة والمساجد في بعض الأحيان وغيرها، فدون هذا الإدراك فإن قابلية الطفل للتعايش في إطار صراع قيمي هي الأقرب إلى الواقع.

٤- العمل على اكتشاف هوايات الطفل ورغباته الذاتية والموضوعية وضرورة تنميتها وفق الإمكانات المادية والمعنوية المتاحة، فغياب تشجيع هذه الهوايات وممارستها وتشخيص الرغبات التي تتماشى مع قيم المجتمع ومعاييره يؤدي إلى اتخاذ الطفل الاتجاه المعاكس، إن صح التعبير، انطلاقاً من طاقاته الذاتية من ناحية ومحاولة إثبات الذات من ناحية ثانية، كما أن طمس هذه الهوايات والرغبات قد يدفع بالطفل إلى تبني أنماط سلوكية تتسم بالعدوانية في محاولة للضغط على الوالدين أو إشباع رغباته خارج نطاق الأسرة وضوابطها.

٥- التفاعل مع الطفل حسب خصائص مرحلته العمرية، فعلى الرغم من سنوات الطفولة المبكرة الستة (الأولى) إلا أن ثمة خصائص لكل منها بدءاً من أساليب التعامل أو القيم التي يجب غرسها أو تبني طريقة لتعليم الطفل قدرات خاصة أو التحكم في الحركة الجسمية الفيزيقية لجسم الطفل أو تقسيم الفترات الزمنية في حياته اليومية، ويرتبط بذلك العديد من الأنماط السلوكية التي يجب أن يتبناها الوالدين أمام الطفل أو من أجله بدءاً من تلبية كافة حاجاته من عدمه حتى العمل على تقنين سلوكياته بطريقة معينة دون أخرى، وتنتهي هذه المرحلة بإعداد الطفل نفسياً واجتماعياً وتربوياً للالتحاق بالمدرسة كمؤسسة موازية، أو يجب أن تكون، في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل.

٦- من المهم متابعة التطورات الخاصة بالطفل، فإلى جانب ملاحظة نموه الجسمي الفيزيقي يكون من الضروري ملاحظة تعبيراته وانفعالاته وعوامل تغيرها سواء كانت عوامل داخلية (خاصة بالأسرة) أو خارجية (ثلة الأقران ووسائل الإعلام) ومحاولة إضفاء المعنى الموضوعي والتفسير العقلاني لهذه التغيرات السلوكية، وإن كان هذا يأتي في إطار تعدد روافد ومصادر التنشئة الاجتماعية فإن الوظيفة الأساسية للأسرة تتلخص في محاولة التنسيق بين هذه المصادر في ضوء

منظومة قيمية ثابتة، إلى جانب تحديد الأهداف من غرس قيم محددة وتشكيل معوقات فاعلة أمام غرس قيم غير مرغوبة أو بالأحرى مغتربة عن النموذج الثقافي الأسري والاجتماعي فبدون هذه المتابعة يكون الطفل مهيئاً لمزيد من الصراع القيمي وكذا فقدان القدرة الذاتية على تحديد الخطأ والصواب والحدود بينهما.

٧- تمثل عملية اختيار لعبة للطفل أحد الأساليب الهامة في عملية التنشئة الاجتماعية والتربية بوجه عام، ومن المقترح هنا أن يتم الاختيار وفق تفاهم من نوع ما بين الطفل والأم أو الأب أو كليهما، فمن جهة لا بد وأن تعبر اللعبة عن رغبات الطفل وطموحاته ومن جهة ثانية لا بد وأن تتوازى مع ما يريد الآباء إكسابه للطفل وأيضاً مع الامكانات المادية للأسرة، وبالتالي فإن من المقترح عقد دورات تدريبية للأمهات والآباء حول كيفية هذا الاختيار خاصة إذا علمنا أن كل لعبة تحمل قيمة خاصة تختلف بها عن غيرها.

٨- ترتبط أساليب العقاب التي تتبناها الأسرة الليبية بموروث تاريخي من ناحية وسمات شخصية خاصة بالوالدين تتسم بالعصرية النسبية من ناحية ثانية، وكليهما يحاول إضفاء نموذج ثقافي وتربوي يحكم الأنماط السلوكية للطفل دون الالتفات لمعطيات الواقع المحيط بالطفل، فالفروق بين المثال والواقع تختلف من أسرة لأخرى ومن أسلوب عقاب لآخر مع الاعتقاد بأن أسلوب التربية هو المثالي من وجهة نظر كل أسرة على حدة، ولا شك أن مرد ذلك صعوبة انطواء مجتمع من المجتمعات على أيديولوجية تربوية واحدة إلا أن هذا يرتبط بمتغيرات مستقلة خاصة بالوالدين أبرزها السن، المؤهل الدراسي، المهنة، نوعية الحياة الخلفية الحضرية، نوع الأسرة، الأجهزة المتوافرة بالمسكن خاصة ذات العلاقة بما هو ثقافي وغيرها، وبناء عليه فإن وسائل الإعلام والمؤسسات الاجتماعية يتوقف عليها الدور الرئيس في خلق قواسم مشتركة بين الأساليب الأسرة المتنافرة والمتباينة في المجال التربوي.

٩- لا بد من تبني أساليب عقاب تتماشى مع كل من الموقف، التوقيت، الأداة، الفعل أو بالأحرى الخطأ الذي ارتكبه الطفل، التوحد في ممارسة الأسلوب والأداة بين أبناء الأسرة الواحدة، التدرج في ممارسة الأساليب بدءاً من المعنوي حتى البدني، التوازي مع حدود التسامح المحددة سلفاً للأنماط السلوكية للطفل، المرونة في ممارسة أساليب العقاب، الخصائص النفسية والاجتماعية للطفل، إلى جانب المستوى الصحي للطفل، ومدى استعداده الذاتي لتقبل العقاب من الأساس، فبدون كل هذه الارتباطات يكون البديل الاضطرابات النفسية التي لا تتوقف عند مرحلة الطفولة بل تتواصل في صورة رواسب ثقافية كامنة تظهر في مرحلة المراهقة وما بعدها أيضاً.

خاتمة البحث

تعانى الأسرة الليبية ، شأنها فى ذلك شأن الأسرة العربية ، من تأثير التحولات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، كما بات الطفل معرضاً للعديد من المؤثرات المتباينة والتى تفرض عليه استجابات متناقضة ، منها ما يعكس القيم التى ألفها المجتمع الليبى ومنها ما يقف على العكس من ذلك ، وفى خضم هذه التنافرات أصبحت أساليب العقاب التى تمارسها الأسرة للطفل فى حاجة إلى منظور مختلف يكشف عن ما يجب الأسرة للطفل فى حاجة إلى منظور مختلف يكشف عن ما يجب أن يكون أو بالأحرى فى محاولة لخلق عملية التكيف المأمول .

وقد حاولنا من خلال هذا البحث حل هذه المعضلة فى ضوء تعريفات أساليب العقاب والأضطرابات النفسية وطرح أهم النظريات التى تعرضت للعلاقة بينهما ، إلى جانب تحليل أهم النظريات التى تعرضت للعلاقة بينهما ن إلى جانب تحليل المحددات والشروط الخاصة بالعقاب مرتبطة فى ذلك بالمظاهر الدالة على علاقة الاضطرابات النفسية للطفل ، وأخيراً قدمنا عرض مختصر لاطار تربوى مقترح للاجابة على سؤال أساسى مؤداه : كيف نربى أطفالنا وفق هذه التطورات السريعة .

وقد توصل البحث إلى العديد من النتائج أهمها :-

- ضرورة قياس العلاقة بين الفعل الذى يقوم به الطفل وأسلوب العقاب .
- أهمية معرفة وإدراك السمات الشخصية للطفل حتى لا يأتى أسلوب العقاب فى الاتجاه المعاكس لعملية التربية .
- محاولة التمرد على عدد من أساليب العقاب التقليدية خاصة البدنية منها ومحاولة غرس القيم فى الطفل بأساليب عقابية محدثة منها ما هو اقتصادى ومنها ما هو نفسى .
- الاستجابة لمجموعة التأثيرات الناجمة عن التحولات الجارية خاصة فى إطار عدم التكافؤ بين الموروث والوافد من جهة وإزدواجية التراث والمعاصرة من جهة ثانية .
- إن حل معضلة العلاقة بين اساليب العقاب والاضطرابات النفسية للطفل فى حاجة إلى دراسات جديدة من منظور مختلف يجمع بين العام والخاصّ ن وتتماشى مع الأبعاد العالمية الجديدة لعملية التفاعل بين الطفل وذاته ، والطفل ومحيطة بدءاً من أسرته حتى مجتمعة العام .

المراجـــــــــع

1 – **طلعت زكريا مينا** : التنشئة الأسرية وأثرها فى حياة الطفل ، القاهرة ، مكتبة المحبة ، الطبعة الثالثة 1998ف ، صـ 43 – 47 .

2– **سنا الخولى** : الأسرة فى عالم متغير ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية 1993 ف صـ 110 – 115 .

3 – حول تأثير الأيديولوجيا فى إنفصال الفكر عن الواقع :–

E. Zeitlen ; Ldeology and development of Social ogical thoory , prentice Hall and hiding private limited , New delhi 1969 .

4 - **صلاح أحمد مرحاب** : سيكلولوجية التوافق النفسى ومستوى الطموح ، دار الآمات ، الرباط 1980 صـ 18 – 20 .

5 – انظر **سبع ابو لبده** : مبادئ القياس النفسى والتقييم التربوى ، جمعية عمال المطابع ، عمان 1987 صـ 113 – 120.

6– **لندا دافيدوف** : مدخل علم النفس ، دار ماكجروهيل للنشر ، القاهرة ، ط فى 1983 ، صـ 23 .

7– انظر **لطيفة أبو ذينه** : المشكلات النفسية والصحية وأثرها على سلوك التلاميذ، رسالة دكتوراه غير منشورة الجزائر 2005، صـ 61 .

8 – **فؤاد أبو حطب** : الثواب والعقاب وتربية الطفل ، القاهرة ، جامعة عين شمس، مجلة كلية التربية المجلد 12 ، العدد1 ، صـ 25– 28.

9 – **لمزيد من التفاصيل** :–

محمد قاسم عبد الله : أمراض الأطفال النفسية ، طرابلس ، دار المكتبى 2001 ف صـ 43 – 61 .

10 – **A. Ross and W. Peiham** ; child psychopathology, Annual Review of psychopathology , vol 32 , pp 243 – 245 .

11 – **D. Bower** : Early childhood program and prevention and treatment of child abuse and neglect , Washington D C , National Center on child abuse , 1993 , pp 111 – 115 .

12- **C. Kovfman and M. Jones** : The behavior assessment lottery for use with the profoundly retarded , A dances in mental handicap research, New york , 1977 , pp 53 – 54 .

13 – **أحمد عبد العزيز شلبي** : نحو إستراتيجية لتلبية الاحتياجات الأساسية للطفل العربى ، مجلة المستقبل العربى ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، المجلد الثالث ، العدد التاسع ، سبتمبر 1980 ف صـ 61 – 73 .

14 – **هدى رزيق وسوزان حلبى** : قياس نوعية حياة الطفل العربى ، مجلة المستقبل العربى ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 100 ، يونيو 1988 ، صـ 118– 126 .

15 – **نفس المرجع صـ 128 – 130** .

16 – **خلدون حسن النقيب** : الطفل والتنشئة فى علم النفس الاجتماعى ، الاعتبارات النظرية ، فى : قراءات فى علم النفس الاجتماعى ، تحرير لويس كامل مليكه ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1965 ف صـ 53 – 57 .

17– **أحمد الأهواني** :التربية في الإسلام، القاهرة،دار المعارف1988صـ63– 66.

18- رانشيل كلام ،كريستينا فرانش: الإساءة للأطفال وعواقبها، عرض ممدوحة محمد سلامة، مجلة علم النفس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع20 ، 1991 ، صـ218 .

19 - واطسون : تعديل سلوك الأطفال ، ترجمة محمد فرغلى فراج وسلوى الملا ، القاهرة، المكتبة الأموية، الطبعة الأولى 1984 م ص 1 - 6 .

20 - رمزية الغريب : التعلم دراسة نفسية توجيهية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية 1986 صـ 39 - 44 .

21- السيد عبد العزيز الرفاعي : إساءة معاملة الطفل وعلاقتها ببعض المشكلات النفسية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، 1994 صـ 44 - 46 .

22 - صيفية عبد القادر : أسس التنشئة النفسية من منظور إسلامي، المؤتمر الدولي للطفولة في الإسلام، القاهرة، جامعة الأزهر1990 صـ 51 - 54 .

23 - صلاح الدين المتبولي عبد العاطي: تصور مقترح للحد من استخدام العقاب داخل المدرسة، المؤتمر العلمي السنوي السادس نحو تعليم عربي متميز لمواجهة تحديات متجددة، المجلد الثاني، القاهرة، 1998 صـ381 - 342 .

24 - عبد السلام عبد الغفار وآخرين : مظاهر إساءة معاملة الطفل في المجتمع المصري، القاهرة: أكاديمية البحث العلمي الطبعة الأولى 1997 ف .

25 - عبد الله ناصع علوان : تربية الأولاد في الإسلام، الجزء الثاني، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية 1994، صـ 212 - 219.

26 - **عبد الوهاب محمد كامل:** سوء معاملة وإهمال الأطفال "دراسة ايديومترية على عينة مصرية"، المؤتمر السنوي الرابع للطفل المصري وتحديات القرن الحادي والعشرين، المجد الثاني، القاهرة 1991، ص1013- 1038.

27 - **علي السيد الشخيبي، أمين علي محمد:** "موقف المعلمين من استخدام العقاب البدني في المدرسة، المجلة المصرية للدراسات التفسيرية1997،ع16، مج7.

28 - **فؤاد أبو حطب** : الثواب والعقاب وتربية الطفل، مجلة كلية التربية1980 ، مرجع سابق ذكره صـ 31 - 32 .

29 - فوزية دياب : نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، ط٣، القاهرة 1979 ، مكتبة النهضة المصرية.

30 - محمد عماد الدين إسماعيل : الطفل من الحمل إلى الرشد، (الجزء الأول: السنوات الست الأولى)، الجزء الثاني، الكويت، دار العلم للنشر والتوزيع 1989.